الرسائل المزيفة

محمود سالم

الرسائل المزيفة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الرسائل المزيفة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ١ ٢٦٥٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مهمة ... لإنقاذ العالم!	١١
العالم في سلسلة مفاتيح!	١٧
السيارة ... وخدعة الأرقام!	٢٣
أحمد وحده ... في حجرة مظلمة!	٢٩
الشياطين ... بين يدي رجال العصابة!	٣٥
الرسالة الأخيرة من رقم «صفر»!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مهمة ... لإنقاذ العالم!

أنهى رقم «صفر» حديثه بجملتِه التقليدية: إنَّني في انتظار أسئلتكم. وقبل أن تمضي دقيقة واحدة، تردَّد صوتٌ مُتقطِّع فهم منه الشَّياطين أنَّ هناك رسالة عاجلة.

قال رقم «صفر»: لحظة واحدة، فربما كانت هناك معلومات جديدة. وأخذ صوت أقدامه يختفي حتى تلاشى تمامًا.

كان الشياطين يتأمَّلون الخريطة الإليكترونيَّة المضاءة أمامهم، والتي كانت تُحدِّد مكان مغامرتهم الجديدة، فجأة أُطفئت الخريطة، حتى إنَّ ذلك رَسَمَ علامة استفهام في خيال الشياطين: وقالت «زبيدة»: يبدو أنَّ هناك شيئًا غير عاديٍّ، فهذه أوَّل مرة تنطفئُ فيها الخريطة قبل أن ينتهي اجتماعنا.

لم يُعلِّق أحد على كلام «زبيدة»، فقد كانت هذه مسألة لافتة للنَّظر فعلًا، إلَّا أنَّ أحدًا من الشَّياطين لم يستطع أن يصل إلى سبب محدَّد. ومرَّت ربع ساعة، كانت تبدو ثقيلة؛ فلقد استعدَّ الشَّياطين فعلًا للانطلاق، لولا تلك الرسالة الجديدة. إنَّهم يعرفون ما سوف يفعلونه، بعد أن شرح لهم رقم «صفر» كل التفاصيل.

لمعت لمبة حمراء في أعلى الخريطة فقال «باسم» بسرعة: إنَّنا أمام عمليَّة خطيرة، وهذه أوَّل مرَّة، يستخدم فيها رقم «صفر» لمبة الخريطة الحمراء.

ابتسم «بو عمير» وقال: إنَّ ذلك يجعل مغامرتنا أكثر متعة ...

فعلَّق «رشيد»: أو أكثر صعوبة!

لقد ظلَّ الشَّياطين يحاولون التَّكهُّن بشيءٍ، إلَّا «أحمد»، الذي ظلَّ صامتًا، يستمع إليهم فقط، فجأة بدأ صوت أقدام رقم «صفر» يظهر، وصمتَ الشَّياطين، إنَّهم الآن في انتظار الجديد الذي سوف يقوله، اقتربت الأقدام تمامًا حتى توقفت، مرَّت نصف دقيقة قبل أن

يقول رقم «صفر»: إنَّ هناك مهمَّةً عاجلة جدًّا، تجعلنا نُفكِّر في تأجيل مغامرتنا، وهي كما أرى، تَحتمِل بعض التَّأجيل. إنَّ المهمة الجديدة قد تحتاج الشَّياطين جميعًا، إنَّها في النِّهاية ... مهمَّة إنقاذ العالم ...

كانت الجملة الأخيرة، كفيلة بأنْ تجعل الشَّياطين يُفكِّرون ألف مرة، إنَّ مهمة إنقاذ العالم تعني أنَّ العمليَّة خطيرة. وكما يقول رقم «صفر». إنَّها قد تحتاج إلى الشَّياطين جميعًا. نظروا في اتجاه الصَّوت باهتمامٍ، في انتظار أن يُفسِّر لهم رقم «صفر» هذه المهمة التي سمَّاها «مهمة إنقاذ العالم» ... طال صمت رقم «صفر»، حتى إنَّ الشياطين قد بدءوا يُفكِّرون في سؤاله، إلا أنَّه قال: إنَّنا أمام موقف يُمكن أنْ يكون بداية لحرب عالمية شاملة، وصمت مرةً أخرى.

كانت الكلمات غامضة، حتى إنَّهم لم يستطيعوا فهم شيء، ومسألة قيام حرب عالميَّة شاملة مسألة خطيرة، وعندما يكون عليهم أن يمنعوا هذه الحرب، فإنَّ ذلك يستدعي عملًا ضخمًا. لكن هذا العمل الضَّخم لم يشغلهم، إنَّ ما يشغلهم حقًّا هو طبيعة هذا العمل.

قال رقم «صفر» في هدوء: لقد ظهرت عصابة جديدة خطيرة؛ هي عصابة الإصبع الذهبية أو «الجولد فينجر»، وهي عصابة مستقلَّة تمامًا، لا تعمل مع «سادة العالم»، أو أيِّ عصابة أخرى، وهذه العصابة مهمَّتها غريبة؛ فهي لا تعمل إلَّا في التدمير، فهي يُمكن أن تُدمِّر أيَّ شيءٍ دون هدف بقصد التدمير نفسه. إنَّها تبدو وكأنَّها مجموعة من المجانين، وهي لذلك قد بدأتْ عمليَّة خطيرة، تلك التي رَوَيتُ لكُم عنها، إنَّها يُمكن أن تكونَ بدايةً لحرب عالميَّة شاملة. فالحرب ليست لها نتائج إلا الدَّمار، خصوصًا وأنَّ العصابة سوف تكون بعيدة عن طرفَي الصِّراع.

سكت قليلًا، ثمَّ قال: أنتم طبعًا تعرفون اتفاقيَّة الحد من الأسلحة النَّووية، التي تجري بين القوَّتين الأعظم؛ أمريكا والاتحاد السُّوفييتِّي، والتي تهدف إلى الحد من الأسلحة النَّووية، لأنَّ استخدامها في الحرب يؤدِّي إلى نهاية العالم، ولقد مرَّت سنوات، ولا تزال هذه الاتفاقيَّة تَتعثَّر بين القوَّتين الأعظم. أنتم أيضًا تعرفون أنَّ الأسلحة النووية عالية التَّدمير، وأنَّ الصَّواريخ عابرة القارَّات، والقنابل الهيدروجينيَّة والغوَّاصات النَّووية، كل ذلك لا يحتاج إلَّا إلى دقائق وينتهي العالم، هذا لو اشتعلت الحرب، ولقد حاولت الدُّول دائمًا ألَّا تصلَ في خداعِها إلى درجة استخدام هذه الأسلحة. ولذلك فهي تلجأ إلى الأسلحة التَّقليديَّة والحروب الصَّغيرة. كما حدث في الخلاف الذي نشب بين الاتِّحاد السُّوفييتِّي والصِّين مثلًا، أو بين أمريكا وفيتنام أيضًا منذ سنوات.

سكت رقم «صفر»، بينما كان الشَّياطين يُركِّزون انتباههم في كلِّ كلمة يقولها، وقال بعد لحظة: إنَّنا الآن أمام موقف جديد يُمكن أن يؤدِّي إلى استخدام هذه الأسلحة المخيفة. فالمباحثات التي تدور بين الدَّولتين تتوقَّف ثم تعود للاستمرار، لكنَّها لا تنقطع أبدًا لأنَّها لو انقطعت فإنَّ ذلك يعني أنَّهما قد يلجآن إلى استخدامها، صحيح أنَّه لن تحدث مواجهة مباشرة، لكن قد تحدث بشكل آخر، وعلى أرض أخرى، لكنَّها في النهاية سوف تصيب الجميع!

كانت الخريطة لا تزال مطفأة، وهذا يعني في نظر الشَّياطين، أنَّ المنطقة التي ستدور فيها مغامرتهم الجديدة ليست مُحدَّدة، وأنَّها قد تُغطي العالم كله، وهذا ما فهموه ما دام طرفا الصِّراع هما القوتان الأعظم.

في النِّهاية قال رقم «صفر»: إنَّ عصابة «الجولد فينجر»، تلعب لعبة خطيرة. إنَّها تقوم بتزييف الرسائل المتبادلة بين أمريكا والاتحاد السُّوفييتِّي، حول اتِّفاقيَّة الحدِّ من الأسلحة النَّوويَّة.

سكت رقم «صفر»، فنظر الشياطين إلى بعضهم، إنَّ معنى تزييف الرسائل أنَّه يُمكن أن يحدث صدام بينهما، وأنَّ الرسائل التي تخرج من الاتحاد السوفييتِّي إلى أمريكا تحمل وجهات نظر عنيفة، والرسائل التي تخرج من أمريكا إلى الاتِّحاد السوفييتِّي تحمل نفس الشيء، ويكون هناك موقف صعب بينهما، دون أن تدري أيٌّ من الدولتين شيئًا.

هكذا كان يفكر الشياطين، غير أنَّ رقم «صفر» قطع عليهم التفكير بقوله: إنَّ العصابة عن طريق عملاء سرِّيِّين تدسُّ خطاباتٍ متبادلةٍ بين الاتِّحاد السوفييتِّي وأمريكا لا تحمل أيَّ نوايا طيِّبة. فلا أمريكا توافق على ما يطرحه الاتِّحاد السُّوفييتِّي من أجل الحد من الأسلحة النَّوويَّة، ولا الاتِّحاد السُّوفييتِّي يوافق على ما تطرحه أمريكا من وجهات نظر، وهذا يعني في النهاية أنْ يختلفَ الاثنان، وأنَّ اختلافهما يُمكن أن يُؤدِّي بهما إلى صدامٍ نوويٍّ، وأنتم تعرفون أنَّ الصِّدام النَّووي لا يحتاج إلى تحركات ولا إلى استعراضات، إنَّه مجرد الضغط على عدة أزرار لتنطلق الصواريخ، ويتحوَّل العالم إلى جحيم.

سكت رقم «صفر» بينما كان الشَّياطين يُفكِّرون في هذه العمليَّة الغريبة، التي تقوم بها عصابة «الإصبع الذهبية»... بعد لحظة قال: إنَّ العصابة، ليست جديدة بالنسبة لنا؛ فنحن نُراقبها من مدة، ونعرف الكثير من أسرارها، لكنَّنا ننتظر قيامها بأيِّ نشاط. إنَّ تقارير عُملائنا في جميع أنحاء العالم، كانت تَرسُم لنا تحرُّكاتهم في البداية، ولم تكن تحركاتهم تزيد عن اتِّصالاتهم، وتجاربهم في تحقيق عمل يقومون به، وقد لُوحِظَ في

الفترة الأخيرة أنَّ المباحثاتِ بين القوَّتين الأعظم كانت تتعثَّر كثيرًا، بجوار أنَّ التَّصريحات الدبلوماسيَّة، كانت تشُوبُها لهجة عنيفة، ولقد لفَتَ ذلك نظر عملائنا، وتبعًا لنشاطهم توصَّلوا إلى كشف هذه العمليَّة الجديدة؛ عملية تزييف الرسائل المتبادلة بين الدولتين.

إنَّ أحدًا لم يتوصَّل حتى الآن لما حقَّقه عملاؤنا، فلا تزالُ المسألة سريَّة، ولقد ظهرت تصريحات أخيرة، تُنبئ بأزمة عنيفة بين أمريكا وروسيا. أزمة يُمكن أن تؤدِّي إلى حرب عالميَّة، وعندما أقول إنَّها حرب شاملة، فإنَّ ذلك بسبب تلك الأسلحة المُخيفة التي لن تترك أرضًا بلا دمار. فأنتم تعرفون أنَّ المعسكر الغربي تتزعَّمه أمريكا، والمعسكر الشَّرقي تتزعَّمه روسيا؛ أي العالم نفسه مُنقسِم إلى كتلتين. أمَّا دول العالم الثالث فهي دول لا تستطيع أن تقف بين القوتين، ولا أن تنضمَّ إليهما؛ فهي دول فقيرة في النِّهاية، وهذه الدول سوف يصيبها الكثير من جَراء الحربِ، إذا حدث ونجحت العصابة في تحقيق هدفها.

أُضيئت لمبة زرقاء في أسفل الخريطة، فتوقَّف رقم «صفر»، عن الكلام، وقال: لحظة واحدة. يبدو أنَّ هناك معلومات جديدة، أخذت أقدام رقم «صفر» تَبتعِد حتَّى اختفت تمامًا.

كان الشَّياطين يُفكِّرون في مغامرتِهم الجديدة. هذه المغامرة التي لم يُقابلوا مثلها من قبل، وكان ما يفكرون فيه هو: أين مكان المغامرة؟ حتى إنَّ «إلهام» تساءَلتْ: هل تكون مغامرتنا على اتِّساع العالم كله، أو هناك منطقة محدَّدة سوف تجري فيها المغامرة ...؟

مرَّت لحظة صمت، ثم قالت «زبيدة»: إنَّ المغامرة تحتمل هذا وذاك، فقد تكون هناك منطقة معيَّنة، وقد يكون العالم كله هو تلك المنطقة.

علَّق «قيس»، قائلًا: إنَّ الشَّياطين يُمكن أن يغطُّوا العالم، ولا يهم أن تكونَ هُناك منطقة معيَّنة. إنَّنا أمام عملية غريبة، وخطيرة! ... سكت لحظة. ثم قال: إنَّني أظنُّ أنَّ هناك منطقة وسط بين الدولتين. قد تكون أوروبا.

في نفس اللَّحظة، ظهرت على الخريطة مساحة زرقاء، جعلت الشَّياطين ينظرون إليها، التقت أعينهم فما دامت الخريطة قد أُضيئت فإنَّ ذلك يعني أنَّ هناك منطقة معينة سوف تجري فيها الأحداث. لحظة ثم ظهرت خريطة العالم، وكانت مُفاجأةً لهم، فبعد أن تصوَّروا أنَّ منطقة معيَّنة سوف يرحلون إليها جاءت خريطة العالم لتعني أنَّ المغامرة سوف تُغطي مساحة الكرة الأرضية كلها، لم يكن هناك ما يُشير إلى إضافة جديدة فوق الخريطة. فقد ظلَّت تفاصيل العالم هي الموجودة.

فجأة تناهى إلى أسماعهم صوت أقدام رقم «صفر». في نفس اللحظة، تحدَّدت على الخريطة قارة أوروبا. وابتسم قيس؛ فقد فكَّر في ذلك، وأخبر به الشياطين منذ دقائق لذلك. فقد نظروا جميعًا إليه. اقتربت أقدام رقم «صفر»، أكثر وتحدَّدت على الخريطة منطقة معيَّنة، وكأنَّ خطواته كانت ترسم المنطقة المقصودة. لقد كانت المنطقة هي «الدانمارك»، وعندما توقَّفت أقدام رقم «صفر» تمامًا التفَّت دائرة حمراء، خرجت من مضيق «لوبك»، لتُحدِّد في النهاية مدينة «كوبنهاجن» العاصمة. لقد تحدَّدت أمام الشياطين الآن المنطقة التي سيرحلون إليها، لكن كلمات رقم «صفر»، جعلتهم يتوقفون، ولا يستمرون في أفكارهم.

قال: أنتم ترون مدينة «كوبنهاجن» على الخريطة الآن. إنَّها تُحدِّد المكان الذي تعمل فيه العصابة؛ ففي العاصمة الدانماركية يوجد المركز الرئيسي لها، وهي منطقة متوسِّطة كما ترون بين الاتحاد السوفييتِّي، والولايات المتحدة الأمريكيَّة. كما هو واضح على الخريطة. لكن ذلك لا يعني أنَّ نشاط العصابة مُحدَّد في المدينة. إنَّه يُغطي أماكن كثيرة من العالم خصوصًا في «واشنطن» و«موسكو»؛ حيث يقع «البيت الأبيض»، المقر الرَّسمي للرئيس الأمريكي. وحيث يوجد قصر «الكرملين» وهو: مقر الحكم السوفييتِّي، فبين المدينتَين تدور المباحثات، ومنهما تخرج الرسائل المتبادلة بين الجانبَين، هذه الرسائل التي تستطيع العصابة عن طريق عملائها السِّرِّيِّين، أن تحصل عليها، ثم تقوم بتزييفِهَا.

صمت قليلًا ثمَّ أضاف: غير أنَّ هذه الرَّسائل، لا بدَّ أن تصل إلى المركز الرَّئيسي، حيث تتمُّ عملية التزييف. ولذلك فإنَّ مغامرتنا سوف تبدأ من «كوبنهاجن». لكنَّها في نفس الوقت قد تمتدُّ إلى أماكنَ أخرى. فقد تَنتقِل إلى «جنيف»، في سويسرا. حيث تدور المحادثات في بعض الأوقات، وحيث تستطيع العصابة أن تحصل على تفاصيل من هناك.

وسكت لمدة دقيقة ثمَّ قال: إنَّ مزيدًا من التَّفاصِيل سوف تجدونَها عند عَمِيلنَا في «كوبنهاجن». وحصولكم على رسالتين متبادلتين من داخل المركز الرَّئِيسي، سوف يكون هو المفتاح لكشف العمليَّة كلَّها.

ومرَّت لحظة قصيرة قبل أن يُضيف: إنَّنا سوف نبدأ المغامرة بأربعة من الشَّياطين على أن يكون الباقون على استعداد للتَّحرُّك في أيَّة لحظة. هل هناك أسئلة؟ سكت في انتظار ما يُمكن أن يسأله الشياطين، ولكن لم تكن هناك أسئلة؛ فقد وضحت المغامرة أمامهم تمامًا. وإذا كانت هناك تفاصيل فإنَّ تحرُّكهم هناك سوف يكشف لهم ما يريدون ... لم يسأل أَيُّهم أي سؤالٍ. فقد قال رقم «صفر»: أتمنى لكم التوفيق في مهمَّة من أخطر المهام التي قمنا بها وداعًا، وإلى اللقاء ...

تحرَّك صوت أقدامه حتى اختفى. في نفس اللحظة التي أُطفئت فيها الخريطة.

وتحرَّك الشَّياطين بسرعة. ولم تمض ربع ساعة على مغادرتهم قاعة الاجتماعات، حتى كانت السَّيارة تحمل أربعة منهم هم: «أحمد» و«مصباح» و«باسم» و«خالد» لتأخذ طريقها خارجة من المقر السِّري ... وحيث تبدأ أخطر مغامرة في حياة الشَّياطِين.

العالم في سلسلة مفاتيح!

عندما حلَّقت بهم الطائرة فوق العاصمة الدانماركية كانت السَّاعة تقترب من الخامسة مساءً. لكن في تمام السَّاعة الثَّامنة، قالت مذيعة الطائرة: إنَّنا سوف نضطر للهبوط في مطار «أورلي» بعض الوقت، وبعد نصف ساعة كانت الطائرة تُحلِّق فوق «باريس»، ثم تأخذ اتجاهها إلى الممر الأرضي في مطار «أورلي». ولقد لاحظ الشياطين شيئًا. إنَّ استعدادات غريبة كانت تبدو على أرض المطار، الذي كان يغرق في الضوء حتى إنَّ «مصباح» قال: يبدو أنَّ الطائرة في مأزق، وأنَّ طاقم الطائرة قد أخفى الموقف عن الرُّكَّاب.

كانت هناك سيَّارة إطفاء وإسعاف، ومجموعة من الملَّاحين الأرضيِّين يقفون ليُوجِّهوا الطائرة التي دارت دورة ثم نزلت، وعندما اصطدمت عجلاتها بالأرض ارتجَّت رجَّة عنيفة حتى إنَّ الرُّكَّاب أُصيبوا بالفزع وصرخت سيدة، وبكى طفل، وبسرعة كان الشَّياطِين يقفون في حالة استعداد لأيِّ شيء يحدث.

مرَّت دقائق ثقيلة، قبل أن تتوقَّف الطائرة نهائيًّا. وقالت مذيعة الطائرة: مرحبًا بكم على أرض فرنسا. لقد حدث عطب في إحدى عجلات الطائرة، وكان من الضَّروري أن نهبط هنا، نرجوكم التَّوجُّه إلى صالة المطار. فأنتم في ضيافة الشَّرِكَةِ.

ضحك «خالد» وهو يقول: بدلًا من أن نكون في حالة إنقاذ للعالم كنَّا في حاجة إلى من ينقذنا، قال ذلك بلغة الشَّياطِين التي لا يفهمها أحد سواهم سواه.

بدأ الركَّاب يغادرون الطائرة. ونزل الشياطين الواحد بعد الآخر، واتجه الجميع إلى صالة المطار.

مضَت لحظات بينما كانوا يحتسُون بعض المشروبات الساخنة، وتردَّد في الصالة صوت المذيع الداخلي يقول: ركَّاب الرحلة المتَّجهة إلى «بون». سوف تكون الطائرة التي

تقلهم في انتظارهم بعد نصف ساعة. فهم الشياطين أنَّهم سوف يستقلُّون طائرة أخرى، فهم سوف يمرون بمدينة «بون» الألمانية، ومنها يستمرون في رحلتهم إلى «كوبنهاجن».

كانت صالة المطار مُزدحمة بالركاب، وبالقرب من الشياطين كان يقف رجلان يُدخنان السيجار، ويبدو على ملامحهما الهدوء، كان كلٌّ منهما يُمسك في يده كوبًا من القهوة باللبن، يتصاعد منها بخارها.

قال أحدهما: لقد نقلت صحُفُ الصباح صورة طيبة للأزمة.

لفتت الجملة سمع الشياطين، فالتقت أعينهم، وبدءوا يركزون أسماعهم لحديث الرجلين، فكلمة أزمة تردَّدت اليوم في الصحف التي قرأها الشياطين في الطائرة، لكن الأزمة تكرَّرت في أكثر من حدث … أزمة في السوق الأوروبية المشتركة، أزمة الطاقة، أزمة في دول أمريكا اللاتينية، أزمة الشرق الأوسط، أزمات كثيرة قرأها الشَّياطين.

لم يرد الرجل الآخر، كان أحد الرجلين تبدو عليه الوسامة الشَّديدة، ممتلئ بعض الشيء، يلبس نظارة سوداء، ويُمسك عصا قصيرة في يدِه. أمَّا الرجل الآخر الذي تحدَّث عن الأزمة. فقد كان يبدو مثل عصًا طويلة، رفيع تمامًا، يُمسك في يده سلسلة من المفاتيح الفضِّيَّة، ويبدو صوته وكأنَّه يتحدَّث من أنفه.

ألقى «أحمد» نظرة على سلسلة المفاتيح، محاولًا أن يرى شيئًا محددًا، إلَّا أنَّ تفاصيل السلسلة لم تكن هي واضحة.

جذب الرَّجل الممتلئ نفسًا عميقًا من سيجارة ضخمة، ثم قال بعد أن تخلَّص من الدُّخان الذي ملأ فمه: إنَّ الأزمات تبدو وكأنَّها سيمفونيَّة رقيقة النغمات.

ضحك الرَّجل الرفيع وهو يقول: إنَّ هذا تعبيرٌ جيد أيُّها الصَّديق «روبرتو».

جذبت كلمة الأزمات سمع الشَّياطِين غير أنَّ صوت المذيع الدَّاخِلي قطع عليهم استغراقهم في المراقبة، فقد أعلن: المسافرون إلى «جنيف» يأخذون طريقهم إلى الطائرة، في نفس الوقت تبع صوتَ المذيع صوتُ مذيع آخر يقول: ركَّاب الرحلة ٩١٠ على الطائرة البوينج، المتجِّهة إلى «بون»، يتَّجهون إلى الطائرة. ظلَّ الشَّياطين في أماكِنَهم لا يتحرَّكون، في نفس الوقت الذي تحرَّك فيه «روبرتو» وزميله، في اتجاه باب آخر، حيث تقف الطائرة المتجهة إلى «جنيف».

همس «باسم»: هل يتبعهما أحد؟

مرَّت لحظة، بينما كان الرجلان يندسَّان بين المسافرين، ويكادان يختفيان عن أعين الشَّياطين، فقال «أحمد»: لا داعي. إنَّ مهمَّتنا محددة، ويجب أن نصل إلى «كوبنهاجن».

ردَّ «باسم»: لكن هذه فرصة لا يجب أن تفوَّت الآن!

أخذوا طريقهم إلى طائرتهم. كان «أحمد» برغم ذلك لا يزال يُفكر في «روبرتو» وزميله، لكن كان عليه في نفس الوقت أن يُفكِّر في أنَّ الفرصة الآن، قد لا تكون مضمونة. فربما كانت أحاديث الرَّجلين عن الأزمات مجرَّد أحاديثَ عارِضة، ولذلك فقد صعد سلم الطائرة في نشاط، لا يُعطيه فرصة للتَّردُّد. استقر الشياطين في الطائرة التي ارتفع صوتها بعد دقائق، واستعدُّوا للرَّحيل ... كان «خالد» يجلس بجوار «أحمد»، بينما جلس «باسم» بجوار «مصباح».

قال «خالد» لـ «أحمد»: إنَّني ما زلت أُفكِّر في تلك الجملة التي قالها «روبرتو»: «إنَّ الأزمات وكأنها سيمفونية رقيقة النغمات.» إنَّ هذه جملة لا يقولها إلَّا عاشق للكوارث، إنَّه يستمتع بالأزمات، وكأنه يستمع إلى سيمفونيَّة!

جذب «أحمد» نَفَسًا عميقًا ملأَ رئتَيه، وكأنَّه يُعطي نفسه فترة للتفكير ثمَّ قال: هذا صحيح! وأظنُّ أنَّهُما من رجال العصابة. لقد فكَّرت في ذلك أيضًا، وسفرهما إلى جنيف يعني أنَّهما سوف يكونان قريبان من مصادر المعلومات. لكن المعروف الآن أنَّ المحادثات بين القوتَين الأعظم متوقفة، وأنَّ هناك أزمة بينهما، نتيجة الرَّسائل المزيَّفة ... سكت لحظة ثمَّ ألقى «أحمد» نظرة على الليل خارج الطائرة، كانت السماء صافية. أضاف: وهذا ما جعلني أترك الفرصة، التي أرى أنَّها ليست فرصة طيِّبة.

اهتزَّت الطائرة بفعل دوران محركها، ثمَّ انطلقت على الممر الأسفلتي، في طريقها إلى الفضاء. وعندما استوت في مسارها الجوِّي، هدأ الصَّوت داخلها. لكن الحديث بين «أحمد»، و«خالد» كان لا يزال مُستمرًّا.

قال «أحمد»: لقد كنت أرقب سلسلة المفاتيح في يدِ زميل «روبرتو».

هزَّ «خالد» رأسه علامة أنَّه فهم ماذا يقصد. لقد كان «أحمد» يبحث عن علامة تؤكِّد أنَّهما من رجال عصابة «الجولد فنجر». فغالبًا، يحمل رجال العصابات إشارات تدلُّ على انتمائهم للعصابة. لكن «أحمد» لم يستطع رؤية تفاصيل السلسلة. مرَّت مضيفة الطائرة، تُقدِّم لهم بعض المشروبات، وبينما كانوا يشربونها، استغرق كل منهم في أفكاره.

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة، عندما سمعوا مذيعة الطائرة، تعلن وصولهم إلى «بون». ألقى «أحمد» نظرة على الليل خارج الطائرة. كانت السماء صافية تمامًا، والنجوم تلمع في وضوح. مرَّت ربع ساعة، ثم بدأت أضواء المطار تلمع، وكأنَّها عقد من النور، أخذت الأضواء تقترب أكثر فأكثر، حتى نزلت الطائرة إلى أرض المطار. وعندما

توقَّفت تمامًا، بدأ الركاب يغادرونها. كان الجو برغم الليل المتأخر رائعًا، حتى إنَّ «باسم» علق: إنَّه يُذكِّرني بالقاهرة في الربيع.

انتهوا من إجراءات المطار، ثم خرجوا إلى الطريق. فجأة شعر «أحمد»، بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أنَّ هناك رسالة. استقبلها ثم ابتسم. لقد كانوا يقفون في هذه اللحظة على الرصيف. وكانت هناك سيارات كثيرة، تقف متراصَّة في ساحة واسعة. نقل الرسالة إلى الشَّياطين، الذين ابتسموا هم الآخرين، أخذوا طريقهم إلى الساحة المملوءة بالسيارات، وقصدوا سيارة كانت تحمل رقم ١٨٦٦٠، زرقاء اللون. كانت الرسالة تقول بأنَّهم يَبيتون الليلة في «بون» وأنَّ السيارة رقم ١٨٨٦٠ الزرقاء في انتظارهم. فتح «مصباح»، باب السيارة، دون مفتاح. وعندما أصبحوا داخلها، وضع «خالد» الذي جلس إلى عجلة القيادة يده على زرِّ التَّابلوه، فدار المحرِّك ... وفي نفس اللحظة، دقَّ جرس تليفون السيارة، فرفع «أحمد» السماعة. وكان عميل رقم «صفر» هو الذي يتحدَّث. حدَّد لهم فندق «جاتشن» الذي سينزلون فيه الليلة، وتمنَّى لهم قضاء وقتٍ طيبٍ في «بون» عاصمة ألمانيا. أخذوا طريقهم إلى فندق «جاتشن» حيث وجدوا الحجرات في انتظارهم.

لقد كانت المدينة هادئة تمامًا في هذا الوقت المتأخِّر، وكان المارُّون في الشوارع قلة؛ فالمعروف عن الألمان أنَّهم ينامون مبكرًا، كعادة الأوروبيِّين، ويستيقظون مبكرًا أيضًا خصوصًا في أيام العمل. لقد كان اليوم هو الثلاثاء، ولذلك لم يفكر الشياطين في الذهاب إلى أي مكان. وعندما كانوا يأخذون طريقهم إلى المصعد حيث تقع حجراتهم في الدور الثالث كانت الصالة الواسعة خالية تمامًا، إلَّا من بعض موظفي الفندق.

قال «أحمد» وهم يغادرون المصعد في الدور الثالث: إنَّها ليلة راحة. فلا أحد يدري، متى ننام مرة أخرى. ولذلك ما إن دخلوا حجراتهم، حتى أبدلوا ثيابهم، واتجهوا إلى الأسرَّة مباشرة. وكما يفعل الأوروبيون فعل الشياطين؛ فقد استيقظوا مبكرين.

كانت خطوات المارة في الشارع تكاد تصل إليهم، حتى إنَّ «باسم» قال: إنَّهم يدقون الأرض بقوة، وكأنَّهم في طريقهم للحرب!

علَّق «مصباح»: إنَّها فعلًا حرب حقيقية. إنَّهم يغزون العالم بمُنتجاتهم ذات الشهرة الواسعة. وهذه لا تقلُّ عن الحرب!

بسرعة كان الشياطين يُبدِّلون ثيابهم. ودقَّ جرس التليفون فرفع «خالد» السماعة، ومرة أخرى كان عميل رقم «صفر» يتحدَّث، حدَّد لهم موعد الطائرة المتجهة إلى «كوبنهاجن» والتي كان موعدها في الثامنة والنصف.

نظر «خالد» في ساعة يده، ثم قال: أمامنا ساعة واحدة، حتى نكون في المطار.

نزلوا إلى المطعم، حيث تناولوا إفطارهم. وبعد نصف ساعة، كانت السيارة الزرقاء تشق الطريق في اتجاه المطار، وهناك في نفس المكان، ترك الشياطين السيارة، واتجهوا إلى الداخل. في نفس الوقت الذي كان مُذيع المطار يُعلن عن قيام الرحلة المتجهة إلى «كوبنهاجن» ... أسرع الشياطين إلى الطائرة التي غادرت المطار بعد ربع ساعة ... وكانت الرحلة هادئة.

عندما توقَّفت الطائرة في مطار «كوبنهاجن»، وبدأ الركاب يغادرونها، لفت نظر «أحمد» رجل يمشي أمامه مباشرة. كانت في يد الرجل سلسلة مفاتيح، مشابهة تمامًا لتلك التي كان يُمسكها زميل «روبرتو»، غير أنَّ هذه كانت واضحة التفاصيل. كانت في نهاية السلسلة كرة صغيرة عليها خريطة العالم، وتَقبض عليها يد مضمومة الأصابع. فكَّر «أحمد» بسرعة في معنى هذه الكرة واليد، وقال لنفسه: إنَّها فعلًا تصلح رمزًا لعصابة الإصبع الذهبية! إنَّها تعني القبض على العالم لتدميره.

لم يلفت نظر الشياطين إلى ما رأى. إلَّا أنَّ «خالد» اقترب منه، ولفَت نظره إلى الرجل، فقد كان «خالد» يَمشي بجوار «أحمد».

فكَّر «أحمد»: إنَّ هذه فرصة طيبة، جاءت تعويضًا للفرصة الأخرى. خصوصًا وأنَّنا في «كوبنهاجن»، حيث يوجد المركز الرئيسي للعصابة. استمرَّ خلف الرجل، حتى غادَرَ المطار. فجأة، كان أمام المطار سيارة زرقاء مُشابهة لتلك التي ركبوها في «بون» وكانت تَحمِل نفس الرقم ١٨٦٦٠، كانت مفاجأة للشياطين فأسرعوا نحوها في نفس اللحظة التي اقتربت فيها سيارة ذات زجاج أسود، وتوقَّفت أمام الرجل، فركبها بسرعة. وانطلقت. غير أنَّ الشياطين لم يُضيِّعوا الفرصة، فقد انطلقوا خلفها.

كان الجو رائعًا والحقول الممتدة على مدى البصر تُغطي المساحة بلون أخضر. كانت السيارتان تشقان الطريق في طريقها إلى العاصمة. ولم تكن مسألة لافتة للنظر. فقد كانت عشرات السيارات، تقطع الطريق أيضًا. كان الشياطين قد جعلوا السيارة أمام أعينهم لا تغيب. لكنَّهم في نفس الوقت كانوا يُفكِّرون في المدينة، حيث يكون الزحام، وحيث تكون المتابعة صعبة ... وبعد نصف ساعة ظهرت مدينة «كوبنهاجن» وبدأ الزحام.

قال «أحمد»: ينبغي أن تستمر المتابعة ... في نفس الوقت، الذي نكون فيه في فندق «آن» ... سكت لحظة بينما كانت إشارة مرور قد أوقفت السيارات، ثم أضاف: «خالد» و«باسم»، يستمران في المطاردة، وسوف أتجه و«مصباح» إلى فندق «آن».

وقبل أن يَتغيَّر لون الإشارة إلى اللون الأخضر، كان «أحمد» و«مصباح»، قد غادرا السيارة، وعندما تحرَّكت السيارات ظلَّ الاثنان واقفان يرقبان سيارة حامل الكرة، الذي يُمثِّل بالنسبة لهم فرصة لا تُعوَّض.

السيارة ... وخدعة الأرقام!

استقلَّ «أحمد» و«مصباح»، تاكسيًا إلى فندق «آن». كانت الشوارع مزدحمة في هذا الوقت من النهار، لكن الطقس كان رائعًا، وهذا ما جعل «مصباح» يفتح زجاج النافذة القريبة منه، أمَّا «أحمد» فقد كان يُفكِّر: إنَّ متابعة رجل العصابة يُمكن أن تفتح الباب أمامهم، وتختصر لهم الطريق.

لفت نظره مجموعة من الشباب تمشي في الشارع، وهي تغني، سأل السائق الذي أجاب: إنَّنا نعيش أيام الربيع، وهي أيام تمتلئ بالمرح. إنَّكما سوف تنعمان بأيام طيِّبة في «كوبنهاجن».

ابتسم «مصباح» الذي كان يستمع للسَّائق وقال في نفسه: بالتَّأكيد، سوف تكون طيِّبة للغاية.

فكَّر «أحمد»: هل تكون وجهة نظري صحيحة، أم إنَّ الرجل ليس من رجال العصابة؟ وأنَّ الكرة التي يحملها في يده مجرَّد ميدالية في سلسلة مفاتيح؟

بدأ التاكسي يُهدئ من سرعته، وقرأ «أحمد» لافتة على مبنى ضخم: فندق «آن»، كان الفندق ضخم المساحة بالرغم من أنَّه ليس مرتفعًا. فلم تكن طوابقه تتجاوز الخمسة، توقَّف التاكسي، فنزل «أحمد» و«مصباح» لم يتقدَّما مباشرة؛ فقد ظلَّا يرقبان الفندق بلونه الهادئ والخضرة التي تنتشر في مساحته، والورود التي تبدو وكأنَّها لوحة بألوانها المتعددة.

همس «مصباح»: إنَّه يصلح لعطلة.

ابتسم «أحمد» وقال: نعم، عطلة عمل.

اتجه الاثنان إلى الداخل. قطعا الحديقة التي تقع في مدخل الفندق. كان بعض النُّزلاء يجلسون في شمس الربيع الدافئة. تجاوزا المدخل حتى أصبحا داخل الفندق.

كان مكتب الاستعلامات، يظهر في نهاية الصالة الواسعة. اتجه إليه «مصباح» بينما كان «أحمد» يقف وهو يرصد المكان في هدوء. فجأة شعر بدفء جهاز الاستقبال فعرف أنَّها رسالة ... وضع يده على الجهاز، وبدأ يتلقَّى الإشارات التي كان يفهمها بطريقة اللمس. كانت الرسالة من «خالد»: لا تزال نراقب الإصبع، في أيدينا.

ابتسم «أحمد» للتعبير الذي أرسله «خالد». عاد مصباح فنقل له الرسالة، وأخذا طريقهما إلى حيث تقع حجرتهما. كانت حجرة تضم سريرَين وحمامًا، فتح «مصباح» نافذة عريضة تُغطِّيها الستائر، ووقف يتأمَّل المكان. في نفس الوقت اتجه «أحمد» إليه ووقف إلى جواره.

كانت النافذة تطلُّ على حديقة واسعة خضراء.

علَّق «مصباح»: يبدو أنَّ الخضرة هنا هي الطابع السائد. لم يكد ينتهي من جملته، حتى دقَّ جرس التليفون.

أسرع «أحمد» إليه، وكان المُتحدِّث عميل رقم «صفر». حيَّاه وقال في النهاية: المباراة في شارع ٣٢. النادي رقم ٦٠. انتهت المكالمة.

ابتسم «أحمد» وهو يقول في نفسه: لقد تأكَّدَت وجهة نظري. إنَّ المباراة، والنَّادي تعنيان الكرة. وهذا ما فكرتُ فيه تمامًا ... نقل الرسالة إلى «مصباح»، وقال كل ما فكَّر فيه. ثمَّ أضاف: أعتقد أنَّنا يجب أن نخرجَ في جولة حولَ النَّادِي.

قال «مصباح»: نُرسل رسالة إلى «خالد» و«باسم».

بسرعة كانت الرسالة تأخذ طريقها إليهما. أخبرهما برسالة عميل رقم «صفر» وطلب منهما أن يستمرا في مهمَّتهما ... وفي دقائق، كانا يأخذان طريقهما إلى خارج الفندق. بعد خطوات أخرج «أحمد» خريطة صغيرة لمدينة «كوبنهاجن»، وجرى بعينَيه على تفاصيلها. مدَّ «مصباح» يده، وأشار إلى شارع ٣٢.

حدَّد «أحمد» المكان بالنسبة لهما. قال: يجب أن نستقلَّ تاكسيًا؛ فالمكان يبعد عنَّا كثيرًا.

اتَّجه «مصباح» إلى جهاز تليفون عمومي، ووضع فيه قطعة نقد، ثم أدار القرص، وتحدَّث ... كانت كلمات قليلة طلب فيها تاكسيًا، وما إن عاد وانضم إلى «أحمد» حتى كان التَّاكسي يقترب منهما. قفزا فيه بسرعة، وقال «أحمد»: شارع ٣٢.

ودون أن ينطق السَّائق، انطلق يقطع الشَّوارع في سرعة.

كان «أحمد» يُفكِّر في الخطوة القادمة. بينما كان مصباح يرقب الشَّوارع التي كانت تموج بالحركة ... ثم بدأت السيارة تُهدئ من سرعتها، حتى توقَّفت. نظر «أحمد» إلى لافتة

معلَّقة، فعرف أنَّه الشارع المقصود. نزلا بسرعة. كان الشَّارع هادئًا تمامًا، وكانت قلَّة من النَّاس هي التي تسير فيه. قرأ أحمد رقم ٢٤ على أحد المنازل، فعرف أنَّ الرقم المقصود لا يزال بعيدًا. سارا في هدوء لا يلفت النظر. ومع تصاعد الأرقام ظهر رقم ٥٤.

حدَّد «أحمد»، قائلًا إنَّ بعد ثلاثة منازل، يكون الرقم المقصود ٦٠.

توقَّفا قليلًا. فجأة، ظهرت سيَّارة سوداء، لها زجاج أسود، وتوقَّفت أمام المنزل رقم ٦٠. استعاد «أحمد» بسرعة شكل السيَّارة التي أقلَّت رجل العصابة من أمام المطار كانت مشابهة لها تمامًا.

فجأةً نزل أحد الرجال، لكنَّه لم يكن الرجل الذي رآه أحمد في المطار. اختفى الرجل بسرعة في المنزل.

فكَّر «أحمد»، بسرعة، ثم قال لـ «مصباح»: هل هو واحد آخر من رجال العصابة؟ لم يكد ينتهي من سؤاله حتى ظهرت سيارة زرقاء، عرف أنَّها سيارة الشياطين فتأكَّدَت ظنونه، كانت السيارة السوداء، لا تزال واقفة أمام المنزل ...

همس «أحمد»: هيَّا نبتعد.

أخذا طريقهما بعيدًا عن المكان، حتى أصبحا بعيدَين. في نفس الوقت كانت سيَّارة الشَّياطين تأخذ نفس اتجاهها. شاهدا «خالد» يجلس إلى عجلة القيادة، ولم يكن «باسم» معه. توقَّف «خالد» على خط واحد مع سيَّارة العصابة السوداء. كان يرى السَّيارة في المرآة ما زالت واقفة غير أنَّ رجلًا من المنزل رقم ٦٠ خرج، ثم ركبها فانطلقت. لم يتحرَّك «خالد» من مكانه فقد أعطاه أحمد إشارة، ليظلَّ في مكانه، قرأ «أحمد» رقم السيارة التي مرَّت بجواره هو و«مصباح» كانت تحمل رقم ٣٠٠٨٤. اختفت السيارة من الشارع، فاتَّجها إلى حيث يقف «خالد» وركبا السيارة.

قال «خالد»: إنَّ «باسم» يُراقب فندق «جوشن»، بعد أن دخله الرجل، ولم يخرج منه. ثم ظهر الرجل الذي شاهدتماه يدخل المنزل ... لكن المدهش هو خروج رجل ثالث ليركب السيارة! توقَّف قليلًا ثم قال: يبدو أنَّ الأدوار موزَّعة بطريقة لا تَسمح بأن يقوم شخص بأكثر من عمل واحد!

علَّق «أحمد»: هذه وجهة نظر صحيحة. ولذلك فإنَّ المراقبة سوف تكون صعبة. لأنَّها موزعة. وسكت لحظة ثم قال: إنَّنا نستطيع أن نُراقب شيئين ثابتَين؛ المنزل رقم ٦٠ وفندق «جوشن».

أسرع «مصباح» يقول: والسيارة رقم ٣٠٠٨٤.

قال «أحمد» بسرعة: الأرقام يُمكِن أن تكون خدعة. فمن يدري قد تتغير الأرقام أو تتغير السيارة ...!

فجأة توقَّفت سيارة أمام المنزل رقم ٦٠، كانت سيارة سوداء أيضًا، وتحمل نفس الرقم ٣٠٠٨٤.

قال «مصباح»: لقد عادت السيارة!

ظهرت الدهشة على وجه «خالد» و«أحمد». غير أنَّ الدهشة ازدادت على وجه «خالد»، الذي كان يُراقب السيارة في المرآة. وقال: إنَّه رجل آخر غير الذي انطلق بها!

صمت الشياطين لحظة. لقد كان هناك شيء غامض في تحرُّكات السيارة ... لكن فجأة ... أعطى جهاز الإرسال إشارة، فعرف «أحمد» أنَّها رسالة للشياطين. تلقَّى الرسالة التي كانت من «باسم». كانت الرسالة تقول: الكرة السوداء تقف أمام الفندق. تحمل أرقام ٣٠٠٨٤، هناك شخص آخر اختفى، ولا تزال المباراة مستمرة.

نقل «أحمد» الرسالة إلى الشياطين، ثم قال: هناك لعبة في مسألة السيارة. إنَّ أمام «باسم» الآن سيارة سوداء تحمل نفس الرقم الذي أمامنا! هذا يعني أنَّ العصابة تستخدم عددًا من السيارات التي تَحمل رقمًا واحدًا ... وهذه مسألة قد تكون ذكيَّة. لكنَّها في نفس الوقت، يُمكن أن تكون خطرًا. إنَّنا أمام أكثر من سيارة، فهناك خدعة في الرقم كما قلت. ولذلك فالمراقبة يجب أن تتركَّز في المنزل والفندق، ما لم تظهر أماكن أخرى!

صمت الشَّياطين، لقد كانوا يُفكِّرون في الموقف الآن، غير أنَّ «خالد» قال: ينبغي أن ننصرف من هنا الآن، حتى لا نَلفِت النَّظر. قال ذلك، وأدار محرك السَّيَّارة فانطلقت.

لم يكن هناك هدف محدَّد الآن، ولذلك قال «أحمد»: ينبغي أن نختفي قليلًا ثمَّ نعود. إنَّ الليل سوف يكون مجال عملنا أكثر.

دار «خالد» بالسيارة في حدود المنطقة ولم يُغادرها. فجأة، وصلت رسالة من «باسم»: لقد تحرَّكت السيارة وبها الرَّجلان.

ردَّ أحمد: اتَّجِه إلى فندق «آن»؛ فسوف نكون في الطريق إليك.

التفت «أحمد» إلى «خالد»، وقال: فلنَعُد إلى شارع ٣٢ ونُلقي نظرة قبل أن نعودَ إلى الفندق.

دار «خالد» بسرعة في الاتجاه الذي حدَّده «أحمد»، وعندما أصبحوا في بداية الشارع شاهدوا عددًا من السيارات، تقف أمام المنزل رقم ٦٠. غير أنَّها كانت تحمل أرقامًا مختلفة. كانت هذه مسألة محيِّرة أمام الشياطين؛ فهذا يعني أنَّ العصابة لا تستخدم أرقامًا مكرَّرة.

إلَّا أنَّ «أحمد»، قال: قد تكون سيارة أو اثنتين، تحملان أرقامًا مكررة، لصالح العمل. لا بأس من ذلك. عندما انتهى من كلامه، كانت السيارات تتحرَّك الواحدة وراء الأخرى، مغادرة المكان.

قال «مصباح»: ينبغي أن نُحاول رؤية من بداخلها.

ردَّ «خالد»: لن يكون ذلك إلَّا بحادثة ما. فالزجاج أسود، ولا يُعطي فرصة لأن ترى من بالداخل.

مرَّت لحظات صامتة، ثم قال «أحمد»: لا بأس من حادثة سريعة، لا تترك أثرًا. إنَّهم سوف يتحاشَون اللجوء إلى الشرطة ...

انطلق «خالد» بسرعة جنونيَّة ليَلحق بالسيارات، لقد فكَّر بسرعة، إنَّه يجب أن يلحق بالسيارة الأولى حتى تتعطَّل بقية السيارات التي تسير في صف واحد ... ثم مرَّ بجوار السيارة الأخيرة، ثم تجاوزها إلى غيرها.

كان الشارع خاليًا أو يكاد. وكان هذا يُعطيه فرصة لأن يتحرَّك بالسيارة كما يريد. اقترب من السيارة الأولى، حتى أصبح بجوارها تمامًا، ثم انحرف فجأة في اتجاهها، ولم يكن أمام سائقها إلَّا أن يصطدم بسيارة «خالد». توقَّفت السيارة السوداء، واضطرَّت باقي السيارات الى الوقوف. نزل «خالد» بسرعة، في نفس الوقت الذي نزل فيه سائق السيارة. كانت الإصابة شديدة، فقد تحطَّم الفانوس الأمامي، وانبعج رفرف السيارة الأمامي.

قال خالد بسرعة: إنَّني أعتذر يا سيدي، فقد فقدتُ السَّيطرة على عجلة القيادة.

لم ينزل أحد من رجال السيارات الأخرى، ونظر السائق إلى «خالد» قليلًا، ثم قال: ينبغي أن تُسيطر على قيادتك. بهذه الطريقة يُمكن أن تُصيب أحدًا.

كان الشياطين يُراقبون الموقف، دون أن ينزل أحد منهم. ولم يتعرَّفوا إلى السائق، الذي كان يلبس ملابس عادية، لا تُشير إلى أنَّه يعمل سائقًا خاصًّا.

قال «خالد»: إنَّني أكرر اعتذاري يا سيِّدي، ومُستعدٌّ لأيِّ عقوبة.

قال الرجل وهو يتحرَّك منصرفًا: لا بأس، لا داعي لشيء، يكفيني اعتذارك.

ولم يكد يستدير، حتى استوقفه «خالد» مرة أخرى، لقد كانت فرصة، لا يجب أن تُفوَّت. قال «خالد»: أعتقد أنَّ هذه ليسَت سيارتك. فربما كنتَ مُوظفًا عليها وفي هذه الحالة ...

قاطعه الرجل قبل أن يُكمل كلامه: لا بأس. إن هذه مسألة لا تُهمك كثيرًا! ثم انصرف ...

نظر «خالد» حوله بسرعة ثم اتجه إليه، وهو يفتح باب السيارة وقال: أرجو أن تصفح عني. فإنَّني سوف أكون معذَّبًا إن لم تفعل ذلك.

ابتسم الرجل ابتسامة هادئة وقال: لا بأس. لقد صفحت عنك.

ألقى الرجل بنفسه داخل السيارة ثم ضغط الكلاكس، يطلب إفساح الطريق.

أسرع «خالد» إلى سيارته التي لم يكن قد أصابها شيء، فأفسح الطريق، وانطلقت السيارات خلف بعضها، لكنَّها لم تستمرَّ في سيرها معًا، لقد تفرقت عند نهاية الشارع. في نفس الوقت قال «خالد» مبتسمًا: إنَّ رجل الكرة كان يجلس في المقعد الخلفي!

قال «أحمد» بسرعة: إنَّها فرصتنا التي يجب ألَّا تُفوَّت؛ فالمؤكد أنَّ هناك شيئًا ما، وبسرعة، رفع سماعة التليفون، وتحدَّث إلى عميل رقم «صفر»، يطلب سيارة أخرى. وعندما وضع السماعة قال لـ «خالد»: يجب أن نلحق بهم، إنَّنا يُمكن أن نُنهي المغامرة الليلة ...

أحمد وحده ... في حجرة مظلمة!

انطلقت سيَّارة الشَّياطين تُحاول أن تلحق بسيارات العصابات، التي كانت قد اختفت وسط زحام الشوارع. في نفس الوقت ظهرت سيارة بيضاء، واقتربت من سيارة الشياطين. أعطت السيارة إشارة فهمُوها، فأخذوا جانب الشارع، وفي لمح البصر، كان «أحمد» و«مصباح» قد قفزوا من السيارة الزرقاء إلى البيضاء، التي نزل منها سائقها وتركها لهما. وبسرعة كان «أحمد» يجلس إلى عجلة القيادة. وانطلق بها. أمَّا «خالد» فقد عاد بالسيارة الزرقاء إلى فندق «آن» حيث كان «باسم» في انتظاره، ظلَّت سيارة الشياطين البيضاء في تقدُّمها، غير أنَّ سيارات العصابة، لم تظهر واحدة منها. لكن ذلك لم يجعل الشياطين يتراجعون. فجأة لمح «مصباح» سيارة سوداء وسط الزحام. لفت نظر «أحمد» إليها، فحاول الاقتراب منها ... توقَّفت السيارة عندما ظهر النور الأحمر لإشارة الشارع. استطاع «مصباح» أن يلمح رقمين منها ٨٤. نقل ما رآه لـ «أحمد»، الذي كان مُستغرِقًا في التفكير. تغيَّر لون الإشارة إلى الأخضر، فانطلقت السيارات. وكان أحمد أسرعها، حتى لحق بالسيارة، وكانت فعلًا تحمل نفس الرقم ٣٠٠٨٤.

همس «مصباح». إنَّها بداية الخيط.

ابتسم «أحمد»، وعلَّق: أو بداية المباراة!

ظَّل خلفها بمسافة تسمح بألَّا تختفي، وبألَّا يلفت النظر إليه، انحرفت السيارة بعد مسافة صغيرة إلى شارع جانبي، فانحرف «أحمد» خلفها. أسرعت؛ فقد كان الشارع خاليًا تقريبًا، فأسرع هو الآخر ... انعطفت مرةً أخرى إلى شارع جانبي، وظهرت سيارة من أحد الشوارع الجانبية، اضطرَّت «أحمد» لأن يتوقف لحظة، وعندما استمرَّ في السير حتى المنعطف، لم يجد السيارة. فوقف ثم قال: إنَّ السيارة لم تخرج من هنا. لا بد أنَّها دخلت إلى مكان ما.

تحرَّك حتى نهاية الشارع، ثم توقَّف. في نفس الوقت الذي كان فيه «مصباح» يُراقب المكان. كانت الساعة تُشير إلى الخامسة، وكان هذا يعني أنَّ الليل يقترب، وأنَّ المغامرة يجب أن تبدأ. غير أنَّ الغموض الذي كان يلفُّ كل شيء الآن، يجعل الأمور ليست سهلة ... لكن الأمور لم تظل على غموضها، فلم تكد تمضي دقائق، حتى ظهرت سيارة سوداء من نهاية الشارع. ظلَّ «مصباح» يراقبها ... توقَّفت أمام أحد المنازل، ثم استدارت، لتدخل فيه. نقل الصورة إلى «أحمد» الذي طلب إليه أن يُحدِّد المنزل جيدًا.

أصبح الشارع هادئًا الآن. فكَّر «أحمد» لحظة، ثم قال: يجب أن نخطو خطوة سريعة. فليس من المعقول أن نظلَّ في حالة مراقبة فقط.

نزل من السيارة في هدوء، فتبعه «مصباح». تقدما في اتجاه المنزل، حتى وقفا أمامه. لم يكن هناك ما يدلُّ على أيِّ مدخل يُمكن أن تدخل منه السيارة.

همس «أحمد»: يبدو أنَّ المكان مجهز جيدًا!

تقدما إلى الباب المغلق، وقال «أحمد»: راقب الشارع حتى أحاول.

أخذ «أحمد» يُحاول فتح الباب بطريقة الشياطين. بدأ الباب يستجيب للمحاولة. وعندما فُتِح، انطلقت أجراس الإنذار، غير أنَّ «أحمد»، لم يتردَّد لحظة. فقد دخل بسرعة وأغلق الباب، فتوقَّفت أجراس الإنذار. كان مدخل المكان واسعًا تمامًا، وخاليًا، حتى إنَّه لم يكن هناك مكان يمكن أن يَختفي فيه «أحمد». إلَّا أنَّه تصرف بسرعة، فقد رأى في نهاية المكان بابًا مغلقًا. قفز ناحيته، ثم فتحه واختفى. كانت هناك ستائر سوداء تجعل الحجرة مظلمة تمامًا. وكانت هذه فرصة ليكون في أمان.

بعد قليل تناهى إلى سمعه عدد من الأصوات تتحدَّث، وكان يبدو عليها الفزع. فكَّر بسرعة، ثم أرسل رسالة إلى «مصباح» يجب الابتعاد عن المنطقة الآن، سوف أرسل إليك مرة أخرى.

بدأت الأصوات تتضح أكثر، وسمع من يقول: لا بد أنَّ هناك أحدًا!

قال آخر: كيف فتح الباب؟!

قال ثالث: ابحثوا في كل مكان!

بدأ يسمع صوت أقدام تقترب من الباب، فكَّر بسرعة، لم يكن في الحجرة شيء، ولم تكن أمامه سوى الستائر ليختفي خلفها ... اقترب من الباب بسرعة، ثم اختفى خلف الستارة القريبة منه. انفتح الباب ثم غرقت الحجرة في الضوء ... كان يقف ملتصقًا بالجدار خلف الستارة، حتى لا يلفت النظر. غير أنَّه بسرعة بدأ يُفكِّر في الهجوم. إنَّ قدمَيه يُمكن أن تظهرا خلف الستارة ...

اقتربت الأقدام في حذر من مكانه، ثم توقَّفت، فكَّر لعل الشخص القادم يَستخدِم مسدسه. ولحظة الصمت هذه يُمكن أن تكون لحظة إخراج المسدس، فعرف أنَّ هناك رصاصة سوف تستقر في جسده بسرعة أخذ يَحسب وقت ضغطة الزناد، وانطلاق الطلقة. وكان تقديره سليمًا. ففي نفس اللحظة التي ضغط فيها رجل العصابة على زناد المسدس، كان «أحمد» قد سقط متهاويًا على الأرض ... اخترقت الرصاصة الستارة.

وفي هدوء تقدَّمت خطوات منه، وهو مُلقًى على الأرض خلف الستارة، وقد ظهرت قدمه. داس الرجل على قدم «أحمد» بقوة وكأنَّه يختبره، إن كان لا يزال على قيد الحياة، أو أنَّه انتهى إلى الأبد. كان الرجل ثقيل الوزن، وقد وقف بكل ثقله على قدم «أحمد»، إلَّا أنَّه برغم الألم قد احتمل. في النهاية، انحنى الرجل، ورفع طرف الستارة. وفي نفس اللحظة، ضربه «أحمد» بقدمه ضربة قوية، جعلته يتراجع ويسقط على الأرض، وفي لمح البصر كان «أحمد» قد قفز من خلف الستارة في اتجاه مُختلِف عن الرجل. لقد قدَّر أنَّه ربما أطلق رصاصة أخرى. وهذا ما حدث فعلًا، إلَّا أنَّ الرصاصة أصابت الستارة؛ فقد كان «أحمد» في مكان آخر.

وقبل أن يُفكِّر الرجل أيَّة فكرة. كان «أحمد»، قد ضربه ضربة جعلته ينطرح أرضًا، إلَّا أنَّ المسدس كان لا يزال في يده. وبسرعة ضرب المسدس بقدمه فطار في الهواء. وعندما مدَّ يده يلتقطه، كان الرجل قد قفَزَ واقفًا، وألقى بنفسه على «أحمد»، فسقط الاثنان على الأرض. مدَّ الرجل يده في قوة، وأمسك بعنق «أحمد»، إلَّا أنَّ «أحمد» كان قد ضمَّ رجليه إلى صدره، فأصبح الرجل بعيدًا عنه بما يكفي. فرَد رجلَيه في قوة، جعلت الرجل يطير في الهواء، وقبل أن يسقط على الأرض، كان يقف عند رأسه. نظر له الرجل في فزع. إلَّا أنَّ «أحمد» أسرع بضربة قوية، جعلته يئن. ثمَّ يتكوَّر كالكرة من الألم. وفي لحظات. كان قد شدَّ وثاقه، وجذبه في قوة، حتى أخفاه خلف الستائر، بجوار الباب مباشرة، صمت كل شيء لحظة. إلَّا أنَّ الأصوات بدأت تتردَّد من جديد. فُتح الباب قليلًا حتى يُعطي إحساسًا بأنَّ الحجرة جرى تفتيشها، وصلت إليه الأصوات في وضوح.

قال واحد: يجب أن ينتقل الاجتماع إلى مكان آخر.

ردَّ واحد: ليس قبل أن نطمئن. إنَّ الموقف يكشف أنَّنا مُراقَبُون!

مرَّت لحظة صمت، ثم قال واحد: إنَّ «روبرتو» يتحدَّث الآن إلى «كيم».

قال آخر: إنَّ «الإصبع الكبير» ينتظر تقريرًا عن الرحلة الأخيرة، وهو لا يعلم بما حدث. لا بد من إخطاره.

عرف «أحمد» أنَّ «روبرتو» هو الرجل الذي رآه قبل الآن في مطار «أورلي» في باريس. لكنه تساءل: هل «كيم» هو نفسه الإصبع الكبير؟ وهل هو نفسه رئيس الإصبع الذهبية؟ وظلَّ في مكانه خلف الباب. لم تكن هناك أصوات أقدام تتحرَّك. فيبدو أنَّ الجميع كانوا يقفون في أماكنهم.

سأل واحد له صوت خشن: هل تمَّ تفتيش الحجرات العليا؟

ردَّ آخر: إنَّه يجري تفتيشها الآن؟

قال صاحب الصوت الخشن: وحجرة الماكينات؟

ردَّ الصوت الآخر: يبدو أنَّها قد فُتِّشت، وإلَّا ما كانت مفتوحة هكذا! ...

فكَّر «أحمد» بسرعة: هل الحجرة التي يقف فيها، هي نفسها حجرة الماكينات؟ وأين الماكينات إذن؟ وما المقصود بهذه الماكينات؟ هل هي ماكينات التزييف، أو أنَّها ماكينات أخرى؟ ... أسئلة كثيرة دارت في ذهن «أحمد»، لكنه لم يجد إجابة عليها.

فجأةً، ردَّد الصوت الخشن: ينبغي تفتيش حجرة الماكينات، يبدو أنَّ أحدًا قد دخلها.

قفز «أحمد» في داخل الحجرة إنَّ هذا يعني أنَّ هناك معركة أخرى قادمة. وأنَّ المعركة يُمكن أن تكشفَ زميلهم وتكشفه أيضًا ... اقترب صوت أقدام من باب الحجرة، حتى ظهر حذاء الرجل أمام «أحمد» ... انتظر لحظة، حتى أصبح الرجل بكامله داخل الحجرة التي كانت لا تزال مضاءة. كان «أحمد» يقف خلف باب الحجرة. وفي سرعة مدَّ يدَيه، وجذب الرجل بقوة، فلم يستطع القيام بأي حركة. تلقاه «أحمد» بين ذراعيه ثم كمَّم فمه بيده في قوة. كان الرجل مأخوذًا من الحركة المفاجئة. أخرج «أحمد» خنجره بسرعة ووضعه في جانب الرجل، فاستسلم تمامًا، وعرف أنَّه يُمكن أن ينتهي في لحظة، أسرع «أحمد» يُعيد الخنجر إلى مكانه في جيب سري، ثم أخرج من جيب آخر حقنة مخدرة، وفي هدوء غرَزها في جانب الرجل الذي اهتزَّ لحظة، ثم تهاوى بين يدي «أحمد»، وفي هدوء، جرَّه إلى جوار زميله خلف الستارة، ثم عاد بسرعة إلى قرب الباب.

كانت عيناه تبحثان في مساحة الحجرة عن أيِّ منفذ يمكن أن يُؤدي إلى مكان آخر. وقال في نفسه: لا بد أنَّ هناك منفذًا ما يُؤدي إلى حجرة الماكينات. استندَ بسرعة وفتش الجدار الذي استند إليه، فوجد زرًّا صغيرًا لا يكاد يظهر.

فجأة، فُتِح باب مشى في هدوء إلى الباب الذي فُتِح ونظر فيه. كانت هناك مساحة صغيرة، ثم درجات سلم يهبط إلى أسفل. أسرع إلى الدرجات وظلَّ يستمع، لكنَّه لم يسمع صوتًا. نزل أول درجة، كان المكان مظلمًا، فكَّر لحظة: إنَّ إضاءة السلم سوف تكون عادية

ولن يلفت هذا نظرهم. بحث عن زر الإضاءة، ثم ضغطه، فانساب الضوء ... كانت الدرجات أمامه، لكن لم يظهر امتداد لها. سمع صوتًا يُنادي: «بيلار»، ماذا حدث؟

عرف أنَّ الرجل الذي يَرقد خلف الستارة هو «بيلار» ... ونزل عدة درجات، فظهرت مساحة كبيرة، ولم تكن هناك سوى آلة صغيرة الحجم. نزل بسرعة إليها. لكن فجأة، سمع أصواتًا تقترب. توقَّف، وبدأ يُفكِّر في التراجع غير أنَّ الأصوات كانت قد اقتربت تمامًا، وبدأ يسمع صوت الخطوات وهي تنزل السلم. نظر حوله في محاوَلة لإيجاد مكان يختفي فيه. كان هناك صندوق متوسط الحجم، أسرع إليه، واختبأ خلفه، وأخرج مسدَّسه في انتظار أي حركة، أو هجوم ...

ظهر عدد من الرجال، وقال صاحب الصوت الخشن: إنَّ «بيلار» لا يظهر له أثر!

انتشر الرجال في المكان، ومرَّت لحظة صامتة قال بعدها أحدهم: لا يبدو أنَّه يوجد أحد!

قال صاحب الصوت الخشن: أين «بيلار» إذن؟ لا بد أنَّ شيئًا قد حدث ... هناك من دخل المكان!

تحرَّكت الأقدام، وسمع «أحمد» بعضها يقترب منه. رفع يده بالمسدس، وهو يُفكِّر: هل يدخل معهم في معركة؟ لكن عدد الرجال كان كبيرًا، والمعركة لن تكون مُتكافئة. توقَّفت الأقدام بالقرب منه، فظَّل ينتظر.

فجأةً، قال صاحب الصوت الخشن: لا بأس. فقط أغلقوا الباب بالشفرة السرية.

أخذت الأقدام تبتعد. لكن الكلمات التي قيلت، جعلت «أحمد» يُفكِّر: إنَّ هذا يعني أنَّني سوف أكون مسجونًا وربما انكشف الموقف. أخرج رأسه في هدوء، وألقى نظرة سريعة على الرجال. كانوا جميعًا قد بدءوا يصعدون السلم، في حين كان واحد فقط في المؤخرة وحده. كانت هذه فرصة يجب أن يستغلها. أسرع في خطوات هادئة بلا صوت. كان الرجل لا يزال يَمشي، وعندما اقترب من أول درجات السلم كان «أحمد» قد أصبح خلفه تمامًا، ضرَبه، فتهاوى الرجل بين ذراعيه. وكانت هذه بداية معركة رهيبة.

الشياطين ... بين يدي رجال العصابة!

التفت الرجال وهم يَصعدون درجات السُّلم، فشاهدوا زميلهم، وراء «أحمد» وهو يتراجَع مسرعًا. تعالت الأصوات تدعو للقبض عليه، وصاح الصوت الخشن: لقد قلت إنَّ هناك أحدًا.

أسرع الرجال يجرون، في نفس اللَّحظة التي أسرع فيها «أحمد» عائدًا إلى حيث توجد حجرة الماكينات. توقَّف عند مدخل الحجرة، كانت هناك دائرة مُختلفة اللون في أرض الحجرة. داس عليها، فتحرَّك جزء من الأرضية، وظهر أسفلها جراج متَّسع، مملوء بالسَّيارات السوداء. فَهِم بسرعة أنَّ هذا هو المكان الذي تُخفى فيه السيارات، وإنَّه من الضروري أن يكون متصلًا بالشارع، نظر في المكان، كان هناك سُلَّم حديدي، فنزل. في نفس اللحظة التي اقتربت فيها أصوات أقدام رجال العصابة ... وأصبح هو يقف بين السيارات التي لم يكن بداخلها أحد.

توقَّف لحظة ثمَّ أسرع يرسل رسالة إلى الشياطين، كانت الرسالة: نفس المكان، «الكرة».

ظهر عدد من الرجال يحملون المسدَّسات، في نفس اللحظة التي فُتِح فيها باب الجراج المؤدِّي إلى الشارع، ودخلت سيارة ... سوداء ... لاحظ «أحمد» أنَّ هناك شعاعًا من الضوء يخرج من زر في الجدار إلى الباب. عرف أنَّ الزر هو الذي يفتح الباب، وأنَّ هناك اتصالًا ضوئيًّا بينهما.

انتشر الرِّجال في المكان، كان عددهم كبيرًا، وفَهِم بسرعة أنَّه من الضروري أن يظهر آخرون، وأنَّ مرحلة الصدام قد بدأت. ألقى نفسه على الأرض، وأخذ يزحف حتى أصبح تحت الزِّر الضَّوئي. شعر بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أنَّ هناك رسالة، كانت الرسالة من الشياطين: نحن في النقطة «ي». رفع نفسه في هدوء، بينما كان رجال العصابة يبحثون

عنه في حذر ... مدَّ يده، وفي هدوء أيضًا. ضغط الزر، فانفتح ... باب الشارع، توقَّف رجال العصابة ينظرون إلى الباب. في نفس اللحظة التي دخلت فيها سيارة زرقاء.

وقال واحد: إنَّه السيد «كيم».

لكن «أحمد» كان قد عرف السيارة، إنَّها سيارة الشياطين. توقَّفت السيارة، وفُتِحت الأبواب، دون أن يظهر أحد. عرف «أحمد» الذي كان يُراقب ما حدث، أنَّ الشياطين قد نزلوا في حذر، دون أن يظهر أي جزء منهم. خصوصًا وأنَّ السيارات كانت تُخفي مكانهم. حشى مسدَّسه بطلقة صوتية، ثم أطلقها، حتى يُثير الفزع بين رجال العصابة، وحتى يُعطيَ فرصة للشياطين ليتفرقوا.

دوَّى صوت الطَّلقة، وكأنَّها قنبلة في المكان المغلق، وقال واحد: إنَّ السيارات ممتلئة بالبنزين، وهذا قد يُسبِّب كارثة.

أطلق «أحمد» طلقة صوت أخرى، فاختفت رءوس رجال العصابة، فقد نزلوا أسفل السيارات. أرسل رسالة سريعة إلى الشياطين، فردوا يحدِّدون أماكنهم. وأرسل رسالة أخرى، يشرح لهم عملية الانتشار داخل مساحة «الجراج»، إنَّ على كل واحد أن يكون في ركن من الأركان، حتى يسيطروا على كل الجهات. وفى لحظة واحدة، تبعًا لإشارة «أحمد»، أطلقوا أربع طلقات صوتية، جعلت المكان يرتج لشدتها.

وصرخ أحد الرجال: إنَّنا نتعامل مع شياطين! وكانت هذه حقيقة؛ فالشياطين لا يغلبهم أحد.

فكَّر «أحمد» بسرعة: إنَّ استخدام الرصاص في هذا المكان يُمكن أن يُؤدي إلى كارثة. وأن عليهم أن يشتبكوا في معركة بالأيدي. أرسل رسائل إلى الشياطين، يشرح لهم فيها خطة المعركة، التي يجب أن تبدأ فورًا قبل أن يظهر أحد.

زحف الشياطين من كل مكان، إلى حيث كان رجال العصابة متفرقين، كان عددهم ثمانية، وقد توزعوا في ثلاث مجموعات. كانت المجموعة القريبة من «أحمد» تضم ثلاثة. أخرج إبرة مخدِّرة، ثم ثبتها في مسدَّسه وأطلقها على أقرب رجل إليه. هرش الرجل ذراعه، ثم فجأة تهاوى على الأرض. صرخ الرجلان اللذان بجواره. في نفس الوقت كان الشياطين يستعدون للالتحام في معركة بالأيدي. حسب إشارة من «أحمد». أرسل «أحمد» صوتًا كأنَّه صوت موتور سيارة. وفي لمح البصر، كان الشياطين قد انقضُّوا على رجال العصابة.

طار «أحمد» كالسهم وضرب الرجلَين القريبَين منه، فاصطدما معًا ثم اصطدما مرة أخرى بإحدى السيارات ... في نفس الوقت كان «خالد» قد ضرب أحدهم ضربة مُستقيمة

جعلت رأسه يصطدم بمقدمة سيارة فتهاوى على الأرض ... ولوى «باسم» ذراع آخر ثم دفعه بقوة فاصطدم بزميله، ثم بزجاج إحدى السيارات فتحطَّم ثم دخلوا فيها ... أمَّا «مصباح» فقد فتح باب إحدى السيارات بقوة، فاصطدم به واحد منهم، فتراجع، وتلقاه «أحمد»، بيمين مستقيمة جعلته يستمر في تراجعه ليسقط في النهاية عند أقدام «باسم».

استمرَّت المعركة نصف ساعة. ورغم أنَّ الشياطين قد انتصروا في النهاية، إلَّا أنَّها كانت معركة رهيبة؛ فقد أصيب فيها «خالد» و«مصباح»، إلَّا أنَّ إصابتهما لم تكن خطرة.

قال «أحمد» بسرعة: إنَّ ماكينة تزييف الرسائل موجودة فوقنا. وبجوارها صندوق، أعتقد أنَّه يحمل أوراقًا خاصة بنفس العملية.

في لمح البصر، كان ثلاثة من الشياطين قد قفزوا على السلم الحديدي. في نفس الوقت الذي أسرع فيه «خالد» فركب السيارة وانطلق خارجًا من الجراج، الذي أُغلِق بعد خروجه مباشرة.

عندما صعد الشياطين، كان «أحمد» يتقدَّمهم. أطلَّ برأسه ليرى المكان جيدًا. لم يكن هناك أحد. تردَّد لحظة؛ فقد شكَّ أن يكون هناك كمين. أخرج خنجره ثم قذفه في قوة فاصطدم بجدار الصندوق الخشبي، وهو يُصدر صوتًا مكتومًا. انتظر لحظة، فلم يظهر أحد. قفز بسرعة، وهو يقول بلغة الشياطين: «باسم» يُراقب السلم.

أسرع هو و«مصباح» إلى الماكينة. كانت عبارة عن آلة كاتبة حديثة بينما كانت هناك أسلاك كهربائية تخرج منها، وتتصل بجدار الحجرة، تركاها، واتجها إلى الصندوق. كان مغلقًا بطريقة غير واضحة. بالرغم من أنَّ له قفلًا صغيرًا، فكَّر «أحمد» لحظة، ثم أخرج من جيبه آلة دقيقة، ضغط على طرفها، فخرج شعاع من الضوء، سلَّطه على القفل، فتحطَّم وفُتِح الصندوق.

كانت هناك أوراق مطبوعة، وجد على بعضها عبارة: مكتب الرَّئيس، الولايات المتحدة الأمريكية ... ووجد على الآخر مكتب الوزير. الولايات المتحدة الأمريكية ... وفي جانب آخر كانت هناك رسائل بيضاء مكتوب في أعلاها: «الكرملين» ... مكتب سكرتير الحزب ... عرف بسرعة أنَّ هذه الأوراق مزيَّفة، وأنَّها مجهزة لتنفيذ المخطَّط المدمر، الذي وضعته عصابة الإصبع الذهبية، لتدمير العالم. أخذ بعض الأوراق ثم أعاد الصندوق إلى حالته.

قال لـ «مصباح»: هيا بنا. من الضَّروري أن نجد نماذج لخطابات مكتوبة. فهذه مجرَّد خطابات بيضاء في انتظار كتابتها وإرسالها.

تحرَّك الاثنان بسرعة في اتجاه السلم، حيث يقف «باسم». صعد الثلاثة في حذر. فجأة، تناهى إلى أسماعهم أصوات كثيرة. وسمعوا واحدًا يقول: لا ندري ماذا حدَث أيها السيد «كيم»! فنحن لم نرَ أحدًا!! وبعض الرجال في الحجرات السُّفلى.

اقتربت أصوات الأقدام أكثر، فتوقَّف الشياطين، لم يكن أمامهم إلَّا الانتظار، وتوقَّفت الأقدام، وقال صوت هادئ إنَّ المهم هو الصندوق!

نزلت أقدام سريعة فتراجع الشياطين وبسرعة داس «أحمد» الدائرة المختلفة اللون، فانفتح سقف الجراج. أسرع الشياطين بالنزول، وتركوا السقف مفتوحًا. لقد كانت هذه خطة لاصطياد رجال العصابة.

اقتربت الأصوات أكثر، وقال صوت: لا بدَّ أنَّهم في الجراج.

بدأت الأصوات تنزل على السُّلَّم الحديدِي، وما إن وصل أول واحد عند الشَّياطين حتى اختفى ... فقد تلقوه في هدوء، وبضربة واحدة كان قد فقد الوعي.

تلقُّوا الثاني والثالث، حتى انتهوا منهم، مرَّت فترة فلم يظهر آخرون.

غير أنَّ الصَّوت الهادئ قال: لقد تأخَّر الذين ذهبوا إلى الجراج!

لم يردَّ عليه أحد، وإن كان أحدهم قد اقترب ونادى: «جروشو»! هل هناك شيء؟ مرَّت لحظات، كان ينتظر فيها الرد، ثم أخيرًا قال: إنَّ أحدًا لا يرد!

في نفس اللحظة، تلقَّى «أحمد» رسالة من «خالد» كانت الرسالة تقول: هناك مباراة في الملعب «٦٠»، عرف «أحمد» أنَّ «خالد» قد ذهب إلى المركز الرئيسي، وأنَّه لا بدَّ من الانتقال إلى هناك. نَقَلَ الرِّسالة إلى الشَّياطين، لكن كان لا بدَّ من الانتهاء من المعركة الحالية.

جاء الصوت الهادئ يقول: فليَنزِل أحدكم ليرى.

نزلت أقدام سريعة، كان الشياطين في انتظارها. وما إن وصلت إليهم، حتى اختفت هي الأخرى. في نفس اللحظة فكَّر «أحمد»: هل يرسل أحد الشياطين لينضمَّ إلى «خالد»؛ فالمعركة هُنا يُمكن أن تنتهي بسرعة.

نقل أفكاره إلى الشياطين الذين وافقوه، وقال «باسم» سوف أنتقل إليه.

وفي سرعة، كان يركب إحدى سيارات العصابة، وانطلق من الباب الذي كان مفتوحًا.

قال الصوت الهادئ: يبدو أنَّ هناك شيئًا! إنَّ الذين ينزلون لا يعودون!

كان «أحمد» و«مصباح» كلٌّ منهما يقف على أحد جانبَي السلَّم ... ومرَّت لحظة صامتة، فهمس «أحمد» إنَّ هذا الصمت يُنبئ بشيء. يجب أن نحذر المكان. فقد تكون الخطوة القادمة من الباب.

تراجع الاثنان بسرعة، واختفَيا خلف إحدى السيارات. وكما توقَّع «أحمد»، فقد ظهر بعض الرجال في باب الجراج، كانوا يتقدَّمون في حذر. وبرغم أنَّ الجراج كان مُضاءً، إلَّا أنَّ الخارج كان مُظلمًا تمامًا؛ فقد هبط الليل. تقدَّم الرجال، في نفس اللحظة التي بدأ فيها «أحمد» و«مصباح» يتحركان في اتجاه الباب. لقد كانت خطتهما أن يكونا بالقرب من الباب، حتى يتصرَّفا إذا حدث شيء.

نادى أحد الرجال: «جروشو»!

تردَّد الصوت في المكان، وظلَّ الرجال يتقدمون، وظلَّ الشياطين في اتجاههم ناحية الباب. فجأة، اصطدم أحدهم برفرف سيارة، فأصابه الذعر وصرخ. تردَّدت صرخته وكانت كالنكتة بالنسبة للشياطين. أصبح «أحمد» و«مصباح» الآن بجوار الباب. ظلَّا في مكانهما يرقبان حالة البحث. في نفس الوقت ظهرت بعض الأقدام تنزل على السلم الحديدي، لقد انضمَّ آخرون إليهم، وكان الشياطين يرونهم في وضوح.

كان ثالث الرجال الذين نزلوا على السلم، رجل رفيع أنيق. قال في هدوء: ألم تجدوا أحدًا؟

فجأة صاح أحدهم: هذا هو «جروشو»!

أسرعوا إليه يحاولون إفاقته. وهمس «مصباح»: هل نخرج الآن ونتركهم في حيرتهم؟ إننا لم نظهر حتى الآن وهذا يعطينا فرصة طيبة لنتصرَّف دون أن يشك فينا أحد ...

كانت فكرة جيدة. وعندما قال «أحمد»: نعم. إنَّها فرصة! ... كان الباب قد أُغلِق. وأصبح الشياطين بين أيدي رجال العصابة.

الرسالة الأخيرة من رقم «صفر»!

في نفس الوقت وصلت رسالة من «خالد»: أطلق الحكم صُفارته ... يجب بدء المباراة. ما النتيجة عندكما؟!

نقل «أحمد» الرسالة إلى «مصباح»، الذي قال: يجب أن نُغادر المكان فورًا.

كان «أحمد» يُفكِّر في أن يظل في مكانه لحظة، فهو قد تراجع الآن، فلا بد من الانتهاء من هؤلاء. ونقل أفكاره إلى «مصباح» الذي قال: إن «خالد» و«باسم»، في انتظارنا، ولا بد أنَّهما في حاجة إلينا. وإلَّا كانا قد تصرفا.

قال «أحمد» ينبغي أن يقوما بالعمل، أو الانتظار بعض الوقت.

ثم أرسل إلى «خالد»: انزلا الملعب، إذا كانت الظروف طيبة.

في نفس الوقت، كان الرجال قد قاموا بإفاقة زملائهم، وأصبح العدد ضخمًا.

همس «مصباح»: إنَّ الموقف غير مُتكافئ ...

ابتسم «أحمد» وقال: إنَّ الشياطين يُمكِن أن يَكسبوا المعركة في كل الظروف.

ابتسم «مصباح» وهمس: إنَّني أعرف ذلك ...

أخذ الرجال يتحدثون، فقال «جروشو»: إنَّني لم أر أحدًا. لقد نزلت السلم، ثم لا أدري ماذا حدث!

قال آخر: لقد اشتبكنا معهم، إنَّهم أربعة.

تساءل الرجل الهادئ: وأين هم الآن؟

مرَّت لحظة دون أن يجيب أحد، ثم قال صاحب الصوت الهادئ. ينبغي تفتيش المكان بدقة. وصمت فترة، ثم قال: أو كهربتُه إذا لزم الأمر.

سمع «أحمد» و«مصباح» هذه الكلمات، وبسرعة كانوا يضعون مادة عازلة على ملابسهم، بينما تحرَّك رجال العصابة في عملية بحث عن الشياطين.

نظر «أحمد» في ساعته ثم قال: إنَّ القنابل المخدِّرة التي أحملها مدتها ثلاث ساعات فقط. وصمت لحظة، ثم أضاف: هل نستطيع أن نُنْهِي المباراة هناك في هذه المدة؟

وقبل أن يُجيب «مصباح»، أخرج «أحمد» قنبلة مخدِّرة من جيب سري كانت القنبلة في حجم البلية.

ضغط على زر صغير فيها، ثم دحرجها على الأرض في اتجاه رجال العصابة. بعد لحظات بدأ الرجال يسعلون، وواحد بعد الآخر، أخذوا يتهاوون إلى الأرض. في نفس اللحظة كان «أحمد» يقترب منهم. لم يكن أحد منهم يراه؛ فقد غطت الدموع، نتيجة الغازات التي أطلقتها القنبلة المخدرة. اقترب «أحمد» من زر الحائط وضغطه فانفتح الباب، وبسرعة أخذ طريقه إلى الخارج، في الوقت الذي كان فيه «مصباح» قد خرج هو الآخر ... وقفا لحظة حتى أُغلق الباب مرة أخرى، ثم انفلتا بعيدًا عن المكان.

أسرعا في خطواتهما، حتى ظهر تاكسي فأشار إليه، ثم أعطى «أحمد» للسائق عنوان المكان: شارع ٣٢. وخلال ثلث ساعة كانا هناك. غادروا التاكسي بعيدًا عن المنزل رقم «٦٠»، وعندما تحرك التاكسي مُختفيًا، اتجها إلى المنزل. لم يكن هناك شيء.

أرسل «أحمد» رسالة إلى «خالد» الذي ردَّ بسرعة: إنَّنا داخل الملعب. الطريق «ن». «ي» ... ففهم أنَّ الطريق إلى اليمين، ثم إلى أعلى، فتقدما إلى داخل المنزل.

همس «مصباح»: احذر أجراس الإنذار.

أخرج «أحمد» آلة صغيرة من جيبه ثم ضغط بها على الباب، فانفتح. توقَّف لحظة، حتى يسمع أجراس الإنذار، إلَّا أنَّها لم تنطلق، فهمس: لا بد أنَّ «خالد» و«باسم» قد عطلا الأجراس.

دخلا وأغلقا الباب بسرعة، ثم أخذا طريقهما حسب تعليمات «خالد»، إلى اليمين وبعدها إلى أعلى. اتجها إلى اليمين، فوجدا سلمًا، فصعدا بسرعة. لكن فجأة، لمعت لمبة في جهاز الاستقبال، فعرف أنَّ «خالد» يطلب منه التوقُّف. أمسك يد «مصباح» وتوقفا. كانت الإشارة غامضة، فلماذا يتوقفان الآن؟ إلَّا أنَّ «أحمد» فكَّر: من الضروري أن الموقف يحتاج إلى ذلك، ظلَّا واقفين. لحظة، ثم جاءتهما رسالة، استمعا إلى الحديث عند آخر درجة.

صعدا مرة أخرى في حذر، وعند آخر درجة، توقَّفا. أخرج «مصباح» سماعة دقيقة من جيبه، ثم لصقها بدرجة السلم، ووضع ذراعيها في أذنيه، ثم أخذ يسمع. كان هناك حوار يدور. سمع: إنَّ الهجوم يجب أن ينتهي. هل تسمع؟ النقطة س. هل تسمع؟

لحظة صمت. ثم سمع واحد يقول: إنَّ أحدًا لا يرد!

قال رجل خشن الصوت: لا بد أنَّ شيئًا قد حدث! يجب حرقُ الأوراق فورًا.

جاءت رسالة من «خالد»: يجب أن نتحرَّك، قبل أن نفقد كل شيء.

أسرع «أحمد»، و«مصباح» في اتجاه نهاية الطرقة الطويلة التي كانت أمامهما. فجأة سمعا دقًّا خفيفًا، فعرفا أنَّ «خالد» و«باسم» أمامهما مباشرة. لحظة ثم ظهرا، فهمس «خالد»: إنَّ حجرة العمليات في نهاية الطرقة، أمامنا مباشرة.

اقتربا في هدوء، وفجأةً فُتِح الباب، وظهر رجل أشيب الشعر، نحيل القوام. بسرعة، اختفى الشياطين في حجرات على الجانبين، غير أنَّ الرجل الأشيب كان قد لمَحَهم في حركتهم الأخيرة. وصرخ رجل خلفه: هناك مَن دخل الحجرات!

كانت هذه الصرخة كافية، ليُغيِّر الشياطين خطتهم. لقد كان عليهم الآن أن يدخلوا معركة، بدلًا من احتمال أعمال لا يتوقَّعُونها. فتراجعوا بسرعة، وفي حركة واحدة، فتحوا الأبواب، في نفس اللحظة التي كان فيها الرجل الأشيب، والرجال خلفه أمامهم، قفز «أحمد» في الهواء، وضرب الرجل، إلَّا أنَّه كان يَقِظًا لحركة «أحمد»، فقد ألقى بنفسه بعيدًا. في نفس الوقت كان بقية الشياطين قد اشتبكوا مع الآخرين.

عرف «أحمد» أنَّه أمام خصم قوي، أسرع نحوه في سرعة، إلَّا أنَّ الرجل كان قد أخرج مسدسًا كاتمًا للصوت، وصوَّبه إلى «أحمد» ... لكنَّه قبل أن يضغط الزناد، كان «باسم» قد قذفه بخنجر في يده، فسقط المسدس منه. واصطدمت الرصاصة بالأرض ... وقبل أن يفيق من مفاجأة «باسم» كان «أحمد» قد وصل إليه. ضربه يمينًا مستقيمة، تلقاها الرجل في براعة، ثم ضرب «أحمد» ضربة، ألقت به بعيدًا. غير أنَّ «خالد» الذي كان قد ضرَب أحدهم بقدمه ضربة قوية، جعلته يتراجَع بشدة، ويصطدم بالرجل الأشيب، فيسقطان معًا ... وتابعهما «خالد» في نفس الوقت الذي اشتبك فيه «أحمد»، بآخر، كان على وشكِ أن يضرب «خالد» بقبضة حديدية استطاع «أحمد» أن يتلقَّاها في بساطة، ثم يضرب الرجل في وجهه بقبضة يده، فيتهاوى الرجل على الأرض.

فجأة، أبصر «أحمد» بالرجل الأشيب يجري مبتعدًا وهو يقصد إحدى الحجرات، فترك المعركة. وقال لـ «مصباح» وهو يجري: حتى النهاية.

اختفى الرجل الأشيب، لكن «أحمد» كان قد وصل إليه. أغلق الرجل باب الحجرة، وحاول «أحمد» في البداية أن يفتحه، فلم يستطع. أخرج الجهاز الدقيق من جيبه، ثم ضغط زرًّا فأرسل الضوء الرفيع الحاد في اتجاه مفتاح الباب، فانفتح. وفي لحظة، كان الرجل الأشيب يقف أمام دولاب صغير مصنوع من الصلب، وقد فتح ضلفتَيه، وأخرج

بعض الأوراق. عرف «أحمد» أنَّها الخطابات الأصلية التي حصلت عليها العصابة، والتي تتبادَلها أمريكا وروسيا.

لمح الرجل «أحمد»، فسحب مسدسًا من الدولاب، ثم أطلق طلقة على «أحمد»، الذي استطاع أن يقفز في لمح البصر بعيدًا عنها. وتابعه الرجل بطلقة أخرى، فمرَّت بجوار قدمه. في نفس اللحظة التي أخرج منها مسدَّسه، وأطلق طلقة على يد الرجل، فسقط مسدسه، قبل أن يضغط الزناد للمرة الثالثة ... ووقف الرجل لا يدري ماذا يفعل الآن ... لقد أصبح بلا سلاح، في الوقت الذي يقف فيه «أحمد» وقد أمسك مسدَّسه ... استند الرجل إلى الحائط وكان يبدو متعبًا تمامًا ... وفجأة، لم يره «أحمد». لقد انفتح باب في الحائط، ثم أُغلِق في لمح البصر. أسرع «أحمد» إلى الحائط، وضغط عليه بيده، فلم ينفتح.

فكَّر لحظة سريعة، ثم جرى خارجًا من الحجرة. كان الشياطين قد انتهوا. فقال «أحمد» وهو يجري: الخطابات في الداخل، سأعود حالًا.

بينما كان «أحمد» ينزل السلالم قفزًا، كان الشياطين قد اتجهوا إلى الحجرة التي تضم الخطابات الحقيقية التي كانت مبعثرة على الأرض.

في قفزات سريعة، كان «أحمد» يقف عند باب البيت خرج بسرعة، ووقف خارجه كان مسدسه لا يزال في يده على استعداد لأيِّ حركة. مرَّت لحظة سريعة، ثم سمع صوت موتور سيارة. فجأة، فُتِح باب آخر بجوار باب البيت، وخرجت سيارة مرسيدس سبور، في سرعة فائقة ... إلَّا أنَّه كان جاهزًا لأي احتمال. فعندما ظهرت السيارة أطلق طلقتين سريعتَين على العجلتين الأماميتين للسيارة، فانفجرتا في صوت شديد ... وقبل أن يُفكِّر الرجل الأشيب في أي حركة، كان «أحمد» قد سدَّد ضوءًا قويًّا من مصباح إليكتروني في يده جعل الرجل يضع يديه على عينيه، وفي هدوء، تقدَّم «أحمد» ومدَّ يده بشدة من داخل السيارة ... ولم يكن أمام الرجل، إلَّا أن يستسلم.

في بساطة، دفعه أمامه إلى داخل المنزل ... ثم أغلق الباب.

ظهر الشياطين يحملون عدة دوسيهات، فهم «أحمد» أنَّها تضم الخطابات المسروقة، والتي قاموا بتزييفها، لخلق أزمة حادة بين القوتين الأعظم.

قال «مصباح»: إنَّ رجال البوليس الدولي في الطريق.

ولم يكد ينتهي من جملته، حتى ارتفعت أصوات السيارات. في نفس الوقت الذي أحسَّ فيه «أحمد» بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أنَّ هناك رسالة من رقم «صفر». تلقَّى الرسالة التي كانت تقول: تهنئتي. لقد أنقذتم العالم من صدام مدمِّر، وأنهيتم قصة الرسائل المزيفة.

وردَّ «أحمد»: إنَّ الشياطين دائمًا على استعداد.

وبعد دقائق، كانوا يأخذون طريقهم إلى فندق «آن» ... فقد كانوا في حاجة إلى نوم عميق، بعد هذه المغامرة الصعبة.

هنـــداوي